{ حاجة العقل الإنساني إلى هدي النبوة }

إن الاعتقاد بوجود الله تعالى والإيمان بصفاته الكمالية ، كما يتم بواسطة من اختصهم الله بالبشارة والنذارة ، يتم بالعقل الإنساني على نحو الاستقلال . فإذا وصل مستدل ببرهانه إلى إثبات وجود الله تعالى والإيمان بصفاته دون أن تبلغه دعوة نبي كما حدث لبعض من سمت عقولهم ، كما فعل برهام في الهند ، وزرادشت في فارس ، وكثير من الفلاسفة اليونان مثل أرسطو ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وافلاطون .

ولكن لما كان ذلك ليس حالا لعامة الناس ، وإنّما قد يتيسر لبعض من اختصهم الله بكمال العقل ، ونور البصيرة وإن لم تبلغه دعوة نبيّ ، ولو بلغته لكان أسرع الناس إلى اتباعه . ولا يكون حالاً عاماً لجميع الخلق وذلك لأسباب متعددة وهي ...

- إن ما وهب الإنسان من القوى الإدراكية مختلف باختلاف الأشخاص اختلافاً لا تنتهي درجته ، فما يعد مصلحة عند طائفة يعد مفسدة عند طائفة أخرى ، وما يعد فضيلة عند جماعة ، يعد رذيلة عند أخرى .
- إن التفاوت في العقول موجود بين الأشخاص ، و موجود في الشخص الواحد خلال مراحل نموه فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ، ثم لا يزال ينمو و يزداد إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة . هذا تفاوت في الشخص الواحد خلال مراحل نموه ، أما تفاوته بين الناس فلا يمكن جحده أيضاً ؛ لأننا نرى البليد الذي لا يفهم إلا بعد عناء طويل من المعلم ، ونرى الذكي الذي يفهم بأدنى إشارة ، و نرى الكامل الذ ي تظهر منه حقائق الأشياء بغير تعلم ، كما قال تعالى ژ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ژ النور: ٣٥ ومثال ذلك الأنبياء عليهم السلام .
- إعانة العقل فيما يستقل بمعرفته ، مثل وجود الباري ، وعلمه ، وقدرته ، واستفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل بمعرفته ، مثل ما يتعلق بالمعاد الجسماني وبيان الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها ؛ لأن حسن الأفعال وقبحها شرعي وليس عقلياً . أي أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف أحداً ما لم تأته دعوة نبي وهذا ما شهدت به كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ الإسراء: ١٥ أي : (أن الله تبارك وتعالى ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر، و تأتيه من الله بينة ، وليس معذباً أحداً إلا بذنبه) . وقوله تعالى : ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ ژ طه: ١٣٤ و قوله تعالى : ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ ژ القصص: ٥٩ . فهذه

الآيات الكريمات تدل على أنه لا تعذيب قبل البعثة ، وهذا يدل على أن الله عز وجل ليس بمعذب أحداً ما لم يرسل إليه رسولاً يتلو عليه آياته مع أن الله وهب الناس عقولاً ، لكنها لا تستقل في إدراك كل شيء . وهذا كله يدل على أن بعثة الأنبياء فيها ما فيها من حكمة ومصالح .

- من المصلحة والحكمة في بعثة الرسل هو أن مراتب الأخلاق متفاوتة عند البشر لتفاوت استعداداتهم واختلاف أصنافهم وبيئاتهم ، فإن البشر لو تركوا لعقولهم لما استطاعوا تكملة أخلاقهم وتزكية نفوسهم . فبعث الله الأنبياء لوضع منهاج لتزكية النفوس وتطهيرها من كل أمراضها لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) ، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) .
- نوع الإنسان مفتقر في البقاء إلى اجتماع لا ينتظم من دون قانون . وهيمنة القوانين الوضعية على النفس البشرية تكون في الغالب هيمنة ظاهرية فقط ، وامتثال الفرد لهذه القوانين يكون تبعاً لذلك امتثالاً شكلياً يتحين الفرصة للتهرب والانفلات ، وإذا ما تم للفرد التخفي أو التلاعب ، فمن النادر أن يناله القانون . في حين أن القوانين الدينية تسيطر على نفسية الفرد ظاهراً وباطناً ، وتهيمن على قلبه ومشاعره لأنه يعتقد أن مشرعها ژ ج ج ج ج ج ج ج ژ غافر: ١٩ ، وإن امتثالها والخضوع إليها سبيل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى .

فهذه الأمور مجتمعة تدل على أن بعثة الأنبياء لطف من الله تعالى ورحمة مثل سائر الألطاف لا تبتنى على استحقاق المبعوث واجتماع أسباب وشروط ؛ بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

{ منكرو النبوات ومناقشتهم }

إن الإنسان لا يستطيع أن يكتفي بعقله وضميره بكل شيء مما ينبغي له أن يعرفه مما يتعلق بالله وصفاته ، ولا بد له من شرائع لتنظيم حياته الأولى وصلاح أمر المجتمع فيها ، وحياته الأخرى وما يكون فيها من نعيم مقيم أو عذاب أليم .

ومن هنا كانت حاجة العقل الإنساني إلى معين يستعين به في إدراك ما يعجز عن إدراكه من ذلك حاجة ماسة وضرورة ملحة .

ومع ذلك ذهب قوم من الناس إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هدي النبوة ووحي الرسالة زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يقوم وحده ، وأن يكتفي بعقله في تنظيم حياته وتلبية حاجاته .

والذاهبون لذلك فريقان :

الفريق الأول : ينكر النبوات والرسالات السماوية ؛ لأنه ينكر الإله تعالى ولا يعترف بوجوده ومن البديهي أن من ينكر المرسل وينفي وجوده لا بد وأن ينكر رسوله ولا يعترف بهديه ورسالته ، وقد عُرِف هؤلاء في التاريخ بالملحدين أو الماديين .

وقد وجد منهم جماعات في كل زمان ومكان . ومع ذلك لم يستطيعوا أن يؤثروا في الرأي العام الإنساني ، ولا أن يحرفوه عن فطرته فبقي الإنسان مؤمناً بالله مستنيراً برسالاته في أغلب شؤون حياته .

ومناقشة هذا الفريق لا تكون في إثبات النبوات ومدى حاجة العقل الإنساني إلى هديها وإنما تكون في البرهنة على وجود المبدع الأول والخالق الأعظم لهذا الكون وما فيه ، بعد ذلك يمكن مناقشتهم في أمر النبوة والرسالة .

الفريق الثاني : يعترف بوجود الله عز وجل ويؤمن به ؛ ولكنه ينكر النبوات والرسالات السماوية مكتفين بما تدركه عقولهم من خير أو شر ، فضيلة أو رذيلة زاعمين أن بعث الرسل مناف للحكمة ، فلا يقع من الحكيم تبارك وتعالى .

وعلى رأس هذا الفريق كثير من براهمة الهند والصابئة وبعض الفلاسفة وقد تأثر بفلسفتهم بعض الزنادقة من المسلمين .

واستدل هؤلاء على وجهة نظرهم بجملة أدلة نورد أهمها ونبين بطلانها وبعدها عن الحق والصواب فيما يلي :

١. إن ما يأتي به الرسول لا يخلو إما أن يكون مما يعرفه العقل أو مما لا يعرفه . فإن جاء بما يعرفه العقل كان لا فائدة منه ولا حاجة لنا إليه ويكون في العقل غنى وكفاية . وإن جاء بما لا يعرفه العقل كان حرياً به إلا يُتَلقّى بالقبول لأن المقبول هو الذي تدركه العقول .

وجواب ذلك : أن هذا الدليل واضح البطلان لأن كل مطلع على الرسالات السماوية يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه . فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه

الرسالات مهمة التأكيد عليه والإلزام به ، وفي ذلك دعم لمكانة العقل وتعبير عملي عن أهميته في بناء الحياة . وأما ما لا يعرفه العقل وهو الأكثر فإن للرسالات السماوية دور في إرشاد العقل إليه وتنبيهه إلى ما فيه النافع الصالح ، ووضع الحلول المناسبة لما يصادف الناس من مشاكل الحياة المتجددة وشؤونها المعقدة .

٢) إن الرسول من جنس المرسل إليه ، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حيف ومحاباة وخروج عن العدل والحكمة ، وذلك غير جائز على الحكيم العادل سبحانه وتعالى وجواب ذلك .

أ. إن لله جلت حكمته أن يختص بفضله وكرمه من يشاء من خلقه كما إن له أن يسوي بين سائرهم . وهذا لا ينافي كونه – تعالى – عادلا حكيما .

ب. يلزم من دليلهم .. أن يكون الله غير عادل ، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والذكاء وكمال الجسم والحواس ، وجعل في بعض آخر الجهل والغباء والنقص في الجسم والحواس .

٣) إن مما يبطل الرسالة هو أنّا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقلية مثل فلق البحر وخلق ناقة من صخرة وقلب العصا حية ، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والمشي على الماء وإنطاق الذئب والعصا .. ونحو ذلك ولما كان مثل ذلك محالاً ممتنعاً في العقل بطل ما يدعونهُ .

وأجيب عنه : بأن امتناع هذه الأمور – في نظركم – لا يخلو :

إما أن يكون ذلك ممتنع في قدرة الصانع عزّ وجل ، أو ممتنع في العادة .

فإن قالوا : إنه ممتنع في قدرة الصانع فقد ألحدوا وتركوا دينهم لأنهم يدّعون الإيمان بالله ومن صفات هذا الإله القدرة (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) فاطر /٤٤ .

وإن قالوا : بل ذلك ممتنع في العادة قيل لهم : وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات ويظهر المعجزات على أيدي رسله كبرهان ساطع ودليل قاطع على صدقهم وصحة دعواهم أليس الله عزّ وجل بقادر على ذلك ؟!

وكما قيل قديماً إن الإنسان يمكنه أن يكتفي بعقله في تنظيم شؤونه الحياتية ، وتلبية متطلباته الضرورية فقد قيل حديثاً : إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته ، وتأهيله بمؤهلات السعادة والسلام .

وأجيب عن ذلك : بأننا لا ننكر قيمة العلم وأهميته في حياة الناس فهو رائد الحضارة وباعث النهضة .. قدّم ويقدم الكثير جدا من الخدمات الأساسية للبشرية .

ولكننا نقول إن العلم وحده لا يكفي لإسعاد البشرية وتنظيم كافة شؤونها ومتطلباتها فبرغم من ازدهاره واتساع أفقه وعظمة معطياته فهو ما يزال في المهد صبياً ينقصه الكثير والكثير جدا ليبلغ دور النضج والكمال حتى يقال : إنه يستطيع وضع نظام شامل وقانون كامل للحياة الإنسانية . فهو ما زال باعتراف أقطاب العلم وقادة الفكر عاجز عن استكناه الكثير من أسرار الكون وألغاز الحياة .. ثم إن أغلب آراءه ظنية تقريبية .. فما كان ثابتاً بالأمس صار اليوم مشكوكاً فيه أو بين الخطأ والاشتباه .

قال الأستاذ وليم جيمس : إن علمنا ليس إلا نقطة ، ولكن جهلنا بحر زاخر .

وقال العلامة آينشتاين : العلم يخبرنا بما هو كائن ، ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما هو كائن وإلى ما سيكون .

وقد اتضح لك أن عقول البشر ليست سواء في معرفة الله تعالى ولا في معرفة حياة ما بعد هذه الحياة .

ولا في تحديد ما هو خير وشر في كل نوع من الأعمال في الحياة الدنيا وإن العقل ليس في استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما في سعادته في هذه الحياة كما لا يستطيع أن يزوده بالمعارف الضرورية عن الحياة الأخرى على الرغم من إيمانه بوجودها ، وإن العلم والقانون اللذين هما أثر من آثار العقل البشري لا يكفلان للبشرية سعادتها ما لم يعضدهما نور الوحي وشرائع السماء ورحم الله القائل : (إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة . فأما الظاهرة فالرسل . وأما الباطنة فالعقول) .

{ النبي والرسول في اللغة }

النبي في أصل اللغة :

وردت لفظة (النبي) مهموزة وغير مهموزة :

١. فإذا كانت اللفظة بالهمزة (النَّبِيء) فهي :-

. إما مشتقة من النبأ وهو الخبر فالنبيء هو المخبر (المنبيء) عن الله تعالى .

. أو أن تكون من (النبيء) الذي هو الطريق الواضح لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى الله تعالى .

٢. وإن كانت بلا همزة (النبي) فهي :-

. إما أن تكون همزتها مخففة .

. وإما أن تكون مشتقة من النَّبْوة أو النباوة أي : الارتفاع لأن النبي مرتفع الرتبة على غيره .

الرسول في أصل اللغة :

لفظة الرسول مأخوذة :

. من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة ، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه .

. من رسل اللبن إذا تتابع درّه لأن الرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي .

{ إثبات النّبوة }

لا يكون إثبات النبوة إلا باجتماع أمرين : .

أولهما : ادّعاء النبوة .

ثانيهما : إظهار المعجزة .

فكل من ادّعى النبوة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه ، فهو نبيّ .

المعجزة لغة : مأخوذة من العجز ، وضدها القدرة .

واصطلاحاً : هي أمر خارق للعادة قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة .

و قد اشترط المحققون في المعجزة شروطاً ثلاثة هي :

١. أن تكون أمراً من الله تعالى ، ليصدق مدعي النبوة .

و الأمر يشمل :

أ- القول : كالقرآن الكريم .

ب- و الفعل : كنبع الماء من بين أصابع الرسول . صلى الله عليه و آله وسلم . .

ت- الترك كعدم إحراق النار لإبراهيم . عليه السلام .

٢. أن تكون خارقة للعادة ، التي اعتاد عليها الناس ، واستمروا عليها مرة بعد أخرى .

٣. أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة . أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين ، فيه سعادة الناس في الدنيا و الآخرة ، و عندئذ لا تدخل الأمور الآتية :

أ- الإهانة : و هي ما يظهر على يد مدعي النبوة كذباً ، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في بئر ليزداد ماؤها فغارت .

ب- الاستدراج : وهي ما يظهر على يد الفاسق أو الكافر ، خديعة أو مكراً أو استدراجاً لهم ، و زيادة في غيهم ، حتى يأتيهم أمر الله ، كم قال تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام / ٤٤ . ٤٥ .

ت- المعونة : وهي ما يظهر يد العوام تخليصاً لهم من الشدة .

ث- الكرامة وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد الوليّ ، غير مقترنة بدعوى النبوة .

والولي : هو العارف بالله تعالى و صفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات ، المجتنب عن المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات .

وسبب الكرامات الإيمان والتقوى . قال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يونس /٦٢ . ٦٤ .

وقد أثبتها جمهور المسلمين ودليلهم :

١) القرآن الكريم ، مثل : تساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة على السيدة مريم عليها السلام . قال تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) مريم / ٢٥ . ووجود الرزق عندها بلا سبب ، قال تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) آل عمران / ٣٧ . و إتيان وزير سليمان عليه السلام . (آصف بن برخيا) بعرش بلقيس بطرفة عين مع المسافة البعيدة ، قال تعالى (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) النمل /٤٠ .

٢) من السنة النبوية ، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : *(اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله) .*

٣) إثبات كرامة للولي هو إثبات المعجزة للرسول عليه السلام ؛ لأنّه لن يكون وليّاً إلا بعد أن يكون محقاً في ديانته ، وديانته الإقرار بالقلب واللسان برسالة رسوله مع الطاعة له في أوامره .

{ الفرق بين المعجزة و الكرامة }

١. المعجزة مقارنة لدعوى النبوة ، أمّا الكرامة فهي غير مقارنة لها ، فصاحب الكرامة لا يدعي النبوة ، بل هو متبع للنبي متمسك بشرعه .
٢. الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين ، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل ، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم ، حتى تطمئن ، وتوقن ، ولا تضطرب .
٣. إنّ الأنبياء كلما زيدت لهم من المعجزات ، يكون أتمّ لمعانيهم وفضلهم ، أمّا الأولياء كلما زيدت لهم الكرامات يكون خوفهم ووجلهم أكبر ، حذراً من أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج .

{ النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل }

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده ، فلا تنال بالكسب ، ولا بتكلف العبادة ولا تدرك بتهذيب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق ، ولا بالوراثة ولا أثر للذكاء فيها .

قال تعالى : ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ژ الحج: ٧٥ . وقال : ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ژ النحل: ٢ .

{ بشرية الرسل والأنبياء }

الأنبياء والرسل بشر يأكلون ويشربون وينامون ويمرضون ويحزنون ويجوعون ويعطشون ويتزوجون ويغضبون ويتعبون ويستشيرون... ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم .

وإنما اختارهم الله عز وجل من جنس المرسل إليهم ليكونوا على صلة وثيقة بهم شاعرين بأحاسيسهم مطلعين على ما يعانون من الألم مقيمين عليهم الحجة الدامغة بإيضاح الطريق المستقيم لهم. ودليل ذلك :-

أولاً : من القرآن الكريم :

قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)/الكهف١١٠ وفصلت ٦.

وقوله : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)/ الأعراف ١٨٨ .

ثانياً : من السنة النبوية المشرفة :

حديث ابن مسعود قال: أتى النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له : (*هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد بمكة*) .

تواضع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته تشهد ببشريته ولا مجال لأحد في إنكار ذلك .

{ فوائد وقوع الأعراض البشرية بالأنبياء }

تقدم أن الأنبياء يقع عليهم من الأعراض البشرية كالابتلاء والمرض والفقر ... الخ ما يقع على سائر الناس ، إلا أن لوقوع هذه الأعراض بالأنبياء فوائد تتلخص بما يأتي :

١. **تعظيم أجورهم :** فالبلاء والأمراض يترتب عليها الأجر العظيم لهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : *أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل* . فليس كل احد أهلاً للبلاء فالبلاء على قدر الإيمان .

٢. **تسلّي عوام الناس بأحوال الأنبياء إذا نزل بهم ما نزل بالأنبياء :** فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء من مرض وأسقام وقلة مال وأذى الناس لهم مع علو مقامهم ورفعة شأنهم فإنه يتسلّى ويتصبّر فلم يحزن على ما نزل به من بلاء .

٣. **تنبيه غير الأنبياء على خسة قدر الدنيا عند الله تعالى** حين يرون الأنبياء قد اعرضوا عنها وانصرفوا عن ملاذها ومغانمها .

{ مهمة الأنبياء }

الأنبياء والرسل هداة البشر إلى الصراط المستقيم وأهل المبادئ التهذيبية التي عالجت المشاكل المادية والروحية يبشرون بالجنة أهل التقى وينذرون بالنار أهل الفساد والكفر ويبينون للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا. فقد كلفهم الله سبحانه بمهام متعددة و هي :

. **التبليغ** : هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم ، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، و كلّ منهم لم يخف على الناس من ذلك شيئاً عمداً أو سهواً .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بآيات كثيرة ، منها : ژ ڑ ک ک ک ک گ ژ العنكبوت: ١٨ وقوله : ژ چ چ چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ژ المائدة: ٦٧ .

. **التبيين** : وهو تعليم الناس الأحكام والشرائع فالسُنّة النبوية فصّلت مجمل القرآن وخصصت عامه وقيدت مطلقه ووضحت مبهمه ، قال تعالى : ژ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ النحل: ٤٤ . وعن مجاهد أن المراد بهذا التبيين تفسير المجمل وشرح ما أشكل إذ هما المحتاجان للتبيين .

وقيل : المراد به إيقافهم على حسب استعداداتهم المتفاوتة على ما خفي عليهم من أسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى ، ويشمل ذلك تبيين الحرام والحلال وأحوال القرون الخالية والأمم الماضية ، ويستأنس له ما روي عن حذيفة ﷺ قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً أخبرنا فيه بما يكون إلى يوم القيامة عقله منا من عقله ونسيه من نسيه) .

. **التزكية** : هي مهمة أخرى من المهام التي من أجلها بعث الله الأنبياء . وهي عبارة عن تكميل النفس وتهذيبها وتطهيرها وحملها على الاتصاف بالأخلاق الحميدة كالوفاء ، والأمانة ، والعدل والإحسان ، والتواضع والتعاون ، والعفو ، والتسامح ، والتحابب والتآلف .... وتطهيرها من كل الصفات الرذيلة كالحسد والحقد والكراهية ...

ويتّضح ذلك من قوله . صلى الله عليه وآله وسلم . : (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

فقد بُعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم . ليطهر الناس ويرفعهم وينقيهم . ويطهر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم . ويطهر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم . ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم . . يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة وما تبثه في الحياة من مراسم وشعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالإنسان وبمعنى إنسانيته . . ويطهرهم من دنس الحياة الجاهلية وما تلوث به المشاعر والشعائر والتقاليد والقيم والمفاهيم .

{ القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى }

أصول الرسالات السماوية وعقائدها وهدفها واحد ، وهو توجيه البشر إلى طريق الصلاح قال تعالى : ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮊ الشورى: ١٣ . لذلك طلب القرآن الكريم الإيمان بجميع الرسل وما أنزل عليهم من الكتب : ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ البقرة: ١٣٦ .

لكن الإيمان شرعاً بالكتب السماوية ومنها الإنجيل والتوراة والزبور إنما يراد به التصديق بأن هذه الكتب كانت من عند الله تعالى ، وكانت صادقة وما جاءت إلا للغرض الذي جاء لإتمامه القرآن الكريم .فما جاء بها مخالفا لما في القرآن فهو محرف قطعاً لا يعول عليه .

وهنا لا بد أن نبين أهم الفروق بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة :

١. الكتب التي نزلت قبل القرآن ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق منها إلا ترجمتها . وأما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ووصل إلينا بهذا الشكل متواترا .
٢. أختلاط كلام الناس من الأحبار والقساوسة والمفسرين والمؤرخين بتلك الكتب . أمّا القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رسول الله ﷺ . وكتب التفسير والحديث والفقه مستقلة تماماً عن القرآن كما هو معروف .
٣. لم يستطيع أحد أن يثبت بإسناد تاريخي أن أيّاً من هذه الكتب الموجودة الآن نزل على النبي الذي نسب إليه ذلك الكتاب كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به . أمّا القرآن الكريم فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل على محمد ﷺ ، وأن آياته منها ما عين مكان نزوله أو زمنه أو سببه .
٤. لغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طويل فلم نجد متكلماً بها ؛ بل إن مَنْ يفهمها قليل جدا . أمّا لغة القرآن الكريم فهي لغة حيّة يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين في أقطار العالم المختلفة .
٥. أحكام كل من الكتب السماوية القديمة كما يبدو من قراءتها خاصه بالزمن وبالأمّة التي نزل فيها هذا الكتاب ، جاءت تلبية لحاجتها ووفق أحواله . في حين أن أحكام القرآن الكريم عامّة لجميع الناس وصالحة في كل زمان ومكان .
٦. كل من الكتب السماوية القديمة وإن كان فيه من الدعوة إلى الخير والصلاح والأخلاق فإنه لم يستوفِ الفضائل ، أمّا القرآن الكريم فقد استوفى الفضائل كلّها كاملة سواء نص عليها في الكتاب القديم أم لم ينص .

٧. تسرب الى الكتب السماوية القديمة التحريف والأمور التي لا توافق العقل وتقوم على الظلم وقد تحوي أموراً من قبيل الفحشاء والمنكر . أمّا القرآن الكريم فإنه منزّه عن الفاحشة ليس فيه ما يخالف العقل والعلم ابدا .

٨. الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي أمّا الشريعة الإسلامية فقد وضعت المبادئ الكفيلة بحل مشاكل الأنسان وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان .

وهذه المزايا التي لأجلها أُمِرَ الناس باتباع القرآن وحده دون سواه ..

{ مستلزمات النبوة – صفات الأنبياء والرسل }

جبل الله ﷻ بعض الناس على مواهب معينة كالقوة والشعر والفنون ... يتفوق بها على الآخرين ، ووهب الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير ، بعيدة عن جميع النقائص التي لا تليق بهم .

وهذه الصفات هي :

الصفة الأولى : العصمة

العصمة لغة : الحفظ .

واصطلاحاً : هي لطف من الله ﷻ يحمل صاحبه على فعل الخير ، ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء .

الصفة الثانية : التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أمروا بها للمرسل إليهم ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وكل منهم لم يُخفِ عن الناس من ذلك شيئاً لا عمداً ولا سهوا .

والأدلة على وجوب هذه الصفة لهم :

١. النصوص القرآنية مثل قوله ﷻ : ژ ک ک گ گ گگ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ المائدة: ٩٩ ، وقوله ﷻ : ژ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ژ ژ المائدة: ٦٧ .

٢. إن كتَمَ العلمِ محرمٌ في الإسلام لقوله تعالى : ژ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ژ البقرة: ١٥٩ ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (منْ سُئِلَ عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار) .

الصفة الثالثة : الفطانة .

وهي التيقظ والتفطن وحدّة العقل والذكاء وسداد الرأي . فكل نبي أو رسول تجب له هذه الصفة ، فلا يجوز أن يكون مغفلاً أو بليداً ؛ لأن البلادة غلظة وهي صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف .

والأدلّة على وجوب هذه الصفة لهم :

١. النصوص القرآنية الدّالّة على ذلك مثل قوله ﷻ : ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ الأنبياء: ٧٩ ، وقوله ﷻ في حق سيدنا داود ﷺ : ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ ص : ٢٠ .
٢. لأنهم قادة الجميع ومرجعهم بالمشكلات ، كما أنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال الشبه ولا يكون ذلك من البُله أو المغفلين .

الصفة الرابعة : الذكورة .

اتفق العلماء على أن الذكورة شرط في النبي فلا يجوز أن تكون المرأة نبية واستدلوا :

١. قوله تعالى : ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ يوسف: ١٠٩ .
٢. النبوة والرسالة تقتضي : الإشهار بالدعوة ، والتردد إلى مجامع الناس ، ولزوم الاقتداء ، والانوثة توجب الستر فبينهما تناف .
٣. لأن النساء لا يصلحن للإمارة العامّة والقضاء وإمامة الناس بالصلاة بالإجماع .

وقد ذهب البعض إلى عدم اشتراط الذكورة في النبوة وقالوا بنبوة السيدة مريم (عليها السلام) مستدلين : باصطفاء الله لها بقوله : ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ آل عمران: ٤٢ ، وبإرسال الروح إليها بقوله : ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ مريم: ١٧ . وقالوا بنبوة أم موسى (عليهما السلام) مستدلين بوحي الله ﷻ إليها بقوله : ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ القصص: ٧ .

ورد العلماء على هذا الزعم قائلين : إن اصطفاء السيدة مريم (عليها السلام) وإرسال جبريل لها لم يكن وحيا بشرع إذ لا دلالة عليه في الآيات المذكورة ، والوحي إلى أم موسى لا يراد به إلا معنى الإلهام كقوله تعالى : ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ النحل: ٦٨.

الصفة الخامسة : السلامة من النقائص .

ونعني بهذا الشرط الأمور الآتية :

أ- أن يكون سالماً من نقص الخلقة . فيجب أن يكون أكمل أهل زمانه خَلْقاً حال الإرسال أي حال بعثه إلى الناس . وقد يُعترض بعقدة لسان سيدنا موسى ﷺ فيجاب : بأن عقدة لسانه ﷺ كانت قبل الإرسال وأزيلت بدعوته عند الإرسال : ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ طه: ٢٧ – ٢٨ فأجابه الباري ﷻ : ﮋ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ طه: ٣٦ .

ب- أن يكون سالماً من العيوب المنفرة للطباع من الأمراض كالبرص والجذام . وقد يعترض هذا ببلاء سيدنا أيوب ﷺ الذي أصيب بداء جلدي نفر الناس منه فيجاب : بأن بلاءه ﷺ قبل النبوة وقد زال بعدها ٹ ٹ چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤ .

ج- أن يكون سالماً من الفظاظة والغلظة ؛ لأن قسوة القلب موجبة للبعد عن الله تعالى . إذ أنها منبع المعاصي ؛ لأن القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله كما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام . وروي أيضاً عن النبي عليه الصلاة والسلام : (إن أبعد الناس عن الله القلب القاسي) . ولأن الغلظة وعدم اللين مع الناس يوجب النفرة من النبي لذلك يقول ﷻ : چ پ پ پ پ پ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ آل عمران: ١٥٩ .

هذه الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء ، تعني اتصافهم بكل كمال إنساني ، وتنفي عنهم كل نقص بشري . لأن النبوة هي أشرف مناصب الخلق ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها.

{ الوحي }

معنى الوحي من حيث اللغة :

أطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معان عدّة ، أشهرها :

١. **الإشارة** : ومنه قوله تعالى : ژ ٻ ٻ □ □ □ □ □ □ ژ مريم: ١١. **أي أشار إليهم** .

٢. **الإلهام** : ومنه قوله تعالى : ژ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ المائدة: ١١١. أي ألهمتهم .

٣. **الكلام الخفي** : قال أبو إسحاق : (أصل الوحي في اللغة هو إعلام في خفاء) وقال الكسائي : (أوحيت إليه بالكلام ؛ هو أن تكلمه بكلام تخفيه عن غيره) ومنه قوله تعالى : ژ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ژ الأنعام: ١١٢ . معناه يُسِرُّ بعضهم إلى بعض .

٤. **الأمر** : ومنه قوله تعالى : ژ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ الزلزلة: ١ – ٥ . أي أمرها .

الوحي بالمعنى الاصطلاحي :

هو أن يُعلمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر .

فالوحي ما يوحي الله الى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لاحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثاً وبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه .

{ أنواع الوحي }

جمع أنواع الوحي في قوله ﷻ : ژ □ □ □ ى ي ي □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ الشورى: ٥١ .

تفيد هذه الآية الكريمة أنه : ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : (وحياً) . ويقصد بالوحي وهو:

أ- الالهام والقذف في القلب : كما أوحى الله الى أم موسى أن أرضعيه ومنه قوله ﷺ : (إن روح القدس نفث روعي أن نفساً لن نموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ....) .

ب- الرؤيا في المنام : كما أوحى الله إلى سيدنا إبراهيم بذبح ولده إسماعيل (عليهما السلام) ومنه بدأ وحي النبي ﷺ بالرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما جاء في الحديث الصحيح .

الوجه الثاني : أو (من وراء حجاب) .

أي وإما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة ومبلّغ . كما أسمع الله تعالى موسى عليه السلام كلامَه من غير واسطة . وكذا الملائكة الذين كلّمهم الله تعالى في خلق آدم عليه السلام .

الوجه الثالث : أو (يرسل رسولاً) .

أي وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري . ورسول الملائكة هو جبريل عليه السلام .

ولنزول جبريل عليه السلام على الرسول محمد ﷺ كيفيات مختلفة هي :

١. أن يأتي إلى النبي ﷺ على صورته الحقيقية الملكية .
٢. أن يأتي إلى النبي ﷺ على صورة رجلٍ فيكلّمه كما قال (ص) : (وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول ، وهو أهونه عليَّ) فيراه الحاضرون ويستمعون إليه كما في الحديث : أن أصحاب الرسول (ص) قالوا : (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفّيه على فخذيه وقال : (يا محمد أخبرني عن الإسلام .....الخ) وكان قد

سأل النبي ﷺ عن الإسلام والأيمان وأمارات الساعة ورسول الله ﷺ يجيبه حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب ، قال رسول الله ﷺ : (هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلّمكم دينكم) .

٣. أن يأتي إلى النبي ﷺ خِفْيةً دون أن يراه أحد فيظهر عليه أثر التّغير والأنفعال . والرسول ﷺ يصف حالته عند الوحي فيقول : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدّه عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال) . المعنى أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتثبته أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك . والحكمة في تقدمه : أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره .

{ نبوة سيدنا محمد ﷺ }

معجزات الرسول ﷺ

ومعجزاته ﷺ نوعان :

النوع الأول :

كمعجزات الرسل والأنبياء السابقين قصيرة الأمد زالت بزوال أيامها والمطّلع عليها لا يجدها إلا في الأخبار ، كمعجزات سيدنا موسى عليه السلام من قلب العصا حية ، وفلق البحر وغيرها له ، أو لغيره من الرسل (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) . وقد ثبتت للنبي ﷺ من هذا النوع الكثير من المعجزات عدّها بعض العلماء أكثر من ألف معجزة منها :

أ- انشقاق القمر الثابت في القرآن الكريم : ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ القمر: ١ – ٢ .

ب- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ حين التمس الناس مع الرسول ﷺ الماء فلم يجدوه ، فدعا بإناء فيه ماء فوضع الرسول ﷺ يدَه الشريفة في ذلك الإناء فنبع الماء من تحت أصابعه فتوضأ جميع الناس إلى آخرهم . وقد تكررت هذه المعجزة مرات عدّة في حياته ﷺ .

ج- إبراء المريض بلمسه ﷺ كما ورد ذلك مراراً في السنة النبوية الغرّاء .

د- إخباره بحوادث قبل وقوعها مثل : قوله ﷺ : (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقال قائل : ومن قلّة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوّكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حبُّ الدنيا وكراهية الموت) ، والذي ينظر إلى وضع المسلمين يجد طمع العالم والكيد للمسلمين مع كثرتهم الكاثرة .

النوع الثاني :

نوع خالد خلود الدّهر ماثل في كل حين ؛ ألا وهو القرآن الكريم . وهنا نتتبع بعض جوانبه الدالة على أنه معجزة الرسول ﷺ وأنه من عند الله .

القرآن الكريم

القرآن في اللغة : مصدر قرأ ، كالغفران مصدر غفر . ومنه قوله تعالى : ژ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ القيامة: ١٦ – ١٩ .

القرآن اصطلاحاً : هو كلام الله تعالى المنزل على صدر الرسول الأكرم محمد ﷺ بواسطة الملك جبرائيل (ع) ، المكتوب في المصاحف ، والمنقول نقلاً متواتراً بلا شبهة ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ، والمتعبد بتلاوته .

وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو التشريع الخالد لكل زمان ومكان . وهو الكلام المعجز ؛ الذي أعجز البشر على أن يأتوا بسورة من مثله .

{ إعجاز القرآن }

الإعجاز : إثبات العجز للغير . يقال أعجز القرآن البشر ، أي أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله .

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأمور ثلاثة :

أ- التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة . فالقرآن الكريم تحدى العرب وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان شعراً ونثرا . وقد ورد هذا التحدي في مواضع كثيرة منها : ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ الإسراء: ٨٨ .

ب- وجود المقتضي الذي يدفع المتحدي إلى المنازلة . فالرسول ﷺ ادعى أنه رسول الله وجاءهم بكتاب الله (القرآن الكريم) يسفه عبادتهم ، فحرصوا على ردّه بأن يأتوا بمثله أو ببعضه ، ليدحضوا حجته ، فلا يقال أنه من الله تعالى .

ج- عدم وجود مانع من المنازلة . ويتضح ذلك من جوانب عدّة :

١. جانب اللغة : فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان بشعرهم ونثرهم ، وكان نزول القرآن الكريم بلسانهم .

٢. جانب المعنى : قد كانوا على خبرة وبصر وتجارب وذكاء كما تشير إلى ذلك خطبهم وآثارهم وأشعارهم .

٣. جانب الزمن : فالقرآن لم ينزل جملة واحدة ؛ بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة ليتسع مجال المعارضة .

والعرب يعلمون أن معارضة القرآن بنظم سورة مثله أبلغ في تكذيب دعوة النبي ﷺ ، وأسرع في تفريق أتباعه لكنهم عجزوا عن ذلك مع أنهم مصاقع الخطباء وأساطين البلاغة في تلك الفترة فسلكوا سبيلاً آخر وهو بذل النفوس والمقارعة بالسيوف .

وتحدي القرآن الكريم ثابت قديماً وحديثاً ومستقبلاً للخصوم ذوي الأفكار الباطلة الذين يطعنون به ويشككون فيه .

{ وجوه إعجاز القرآن الكريم }

القرآن الكريم كتاب تشريع ودستور للناس ، تبنى به حياة عزيزة كريمة ، يريد أن تعمر بها الأرض .

ولم يكن مقصده الأصلي أن يؤصل نظريات علمية ، أو أن يقصّ علينا أنباء الأولين ، أو أن يكون صورة أدبية فريدة في الأسلوب ؛ لكنّه ذكر آيات الله في الخلق بذلك الأسلوب البديع الرفيع ليعلمهم أنه كلام إلهي معجز في حد ذاته ، وليؤكد الإيمان به ، واتخاذ العبر من القصص .

{ شواهد اخرى على نبوة النبي محمد ﷺ }

بعد الانتهاء من بيان الأساسين من نبوة سيدنا محمد ﷺ وهما : ادعاؤه النبوة ، وإظهاره المعجزة . وهما كافيتان في إثباتها ، نعزز هذين الأساسين بوجوه مكمّلة ومقرِّرة تشهد على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي :

الشاهد الأول :

ما اجتمع من الشمائل والأوصاف سواء أكان ذلك قبل النبوة أو أثنائها أو بعدها وهي :

أ- أوصافه الشريفة ، ومحاسنه الرفيعة ، وأخلاقه الحميدة ؛ كالصدق والأمانة : فلم يكذب ولم يغش ولم يخن حتى سُمّيَ بالصادق الأمين ، فكانوا يأتمنونه على أموالهم حتى قال النضر بن الحارث لقريش : (قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاء قلتم : إنه ساحر ، لا والله ما هو بساحر) . ومن أوصافه ﷺ الشّفقة : فلم يؤذِ أحداً بيده أو لسانه ، وكان يتألّم لما يراه من قومه من نهب وسلب وقتل ، وكان يسعى للإصلاح بين المتخاصمين ، وكان رحيماً رؤوفاً يشاطر المصابين آلامهم ، وينصف اليتامى ، ويطعم الجياع ، ويتضح ذلك حين طمأنته السيدة خديجة عليها السلام بعد نزول جبريل عليه السلام وقالت له : (إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتُقري الضّيف ، وتعين على نوائب الحق) . ومن أوصافه ﷺ السخاء ، والصبر ، والزهد ، والتواضع ، والشجاعة الفريدة ، والحياء ، وكان ﷺ حلو الكلام ، ليّن العريكة ، يحبه من لقيه أو جالسه .

ب- صفاءُ نفسه من الحقد والأنانية والشك والشرك ، فكان يكره عبادة الأصنام والأوثان مع أن بيئته نشأت على ذلك ، ويدل على ذلك ما جاء في السيرة النبوية من قصّة (بحيرا الراهب) حين استحلفه باللات والعزى – لما رأى قومه يحلفون بهما – فقال ﷺ لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً قط ببغضهما) .

ج- وحُسْنُ بدنه : فقد كان حسن المظهر سليماً من الأمراض المنفّرة ، زيادة على قوّته الجسمانية فقد صارع رُكانة المصارع المشهور في زمن الجاهلية وصرعه . وكان ذكيُّ الفؤاد ، ثاقب البصيرة ، يهابه كُلُّ من رآه عرفه أو لم يعرفه .

د- رفعة نسبه : إذ أنه من أشرف بيوت قريش التي هي أشرف قبائل العرب قاطبة .

هـ- شرف وطنه : إذ أنه من مكة المكرمة أطهر بقاع الأرض ؛ لأن فيها بيت الله الحرام .

وما يجتمع كل هذا إلا في نبيّ ؛ لأن الله سبحانه قدّر ما يحتاجه البشر بمجموعه من الكائنات والمواهب المختلفة ، فوزعها بين أفراده فنرى بعضهم يفوق الآخرين بالقوة الجسدية

والبعض الآخر يتفوق بالفن ، وآخر يتفوق بالفكر الثاقب ، وامتاز الأنبياء بأن اجتباهم الله سبحانه لتبليغ شرعه إلى الناس فلذلك اتصفوا بصفات تميزوا بها عن غيرهم ، فأعمالهم وأفكارهم فذّة لا عهد للناس بها . وقد بيّنا ذلك في صفات الأنبياء .

وقد اجتمعت في رسول الله ﷺ المحاسن الرائعة والسجايا البديعة قبل بعثته وبعدها ، حتى وصفه القرآن : ژ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ژ القلم : ٤ . فقد كان خُلُقُه القرآن ، يرضى برضاه ويسخط بسخطه . كما وصِفَ عليه الصلاة والسلام . فكان الأسوة الحسنة في كل شيء ؛ قال تعالى : ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى □ ى ي ي □ □
ژ الأحزاب: ٢١ . فهو القدوة الحسنة الطيبة التي يرى المسلم أن من التقى والصلاح وبلوغ الجنّة عند الله تعالى هو أن يقتفي أثرها في الحياة الدنيا .

الشاهد الثاني :

ما اشتملت عليه شريعته ﷺ من أمور تتعلق : بالعقائد أو الأخلاق أو الأحكام العامة ، وغيرها من دقائق التشريع الحكيمة وما فيها من الضبط والعدل والمرونة مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان . مع أنّه عاش ومات ﷺ ونشأ بين قوم غلبت عليهم الأمّية ، ولم يمارس الخط والتعلم ؛ بل كان قبل نبوته يقضي أياماً طوالاً في غار حراء وحيداً مختلياً بنفسه متعبّداً متأملا في جلال الله تعالى وعظمته .

الشاهد الثالث :

إن النبيَّ ﷺ مع فقره وقلّة أنصاره وضعفهم قد حارب الشّركَ وأهلَه ، وسفّه أحلامهم ، وهدم دولهم وانتشر دينه في الآفاق ، فانحسرت أمامه جميع الأديان واتسعت دولته بعده ، فحررت وحكمت الشرق والغرب ، فلم يستطع العدوّ – على كثرتهم في العدد والعدة ، وعلى تربصهم به وبأصحابه ، وحرصهم على استئصاله ودعوته – أن ينالوا منه ، أو يقدروا عليه وما هذا إلا عناية من الله تعالى له ولمن كان على دعوته . قال تعالى : ژ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ژ الروم: ٤٧ .

الشاهد الرابع :

ظهوره على فترة من الرسل وانتشار الضلالة . فالعرب على عبادة الأوثان ، والفرس على تعظيم النار وعلى الإباحية ، والترك على تخريب الأمصار وإيذاء الناس ، والهند على عبادة البقر وتأليه الحجر ، واليهود على الحقد والأنانية والشرك ، والنصارى بين التوحيد والأشراك بالله .

وهكذا الناس على الأرض ، فلا بد من دافع لهذا الإلحاد ، ورافع للواء الإصلاح والتقى ، ولا يكون هذا إلا ممن أمدّه الله تعالى بنور النبوة .

الشاهد الخامس :

البشارات الواردة في كتب الأنبياء السابقين . وذلك لأن الكتب السماوية مصدرها واحد وهو : اصلاح الناس ليعبدوا الله سبحانه ، والنبي ﷺ جعل من أركان الإيمان : الإيمان بكتبه ورسله . وفي هذه الكتب السابقة بشارات تُنبئ بظهور سيدنا محمد ﷺ حتى ذكر القرآن الكريم أن سيدنا عيسى عليه السلام قد بشّر برسول يأتي من بعده أسمه أحمد : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ژ الصف: ٦ .

وقد قال العلماء : ما انفك كتاب منزّل من السماء من تضمن ذكر النبي ﷺ بإشارات ، ولو كان منجلياً للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه ، ثم ازداد ذلك غموضاً بنقله من لسان إلى لسان ؛ من العبراني إلى السرياني ، ومن السرياني إلى العربي .

وسنذكر طرفاً من هذه البشارات من التوراة والإنجيل .

أولا : البشارة بنبيّنا محمد (ص) في التوراة .

ما جاء في سفر التثنية : (جاء الرب من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار) وفاران جبل من جبال مكّة المكرمة ، كما جاء في سفر التكوين في حال سيدنا إسماعيل عليه السلام : (وكان الله معه ونما ، وسكن في البرّية وصار شاباً ، يرمي بالسهام ، وسكن برّية فاران ، وأخذت له أمه امرأة من مصر)

ولا شك أن سيدنا إسماعيل عليه السلام كان سكنه في مكة .

ما جاء في السفر الخامس : أنه تعالى قال لموسى عليه السلام : (إني أقيم لهم نبياً من بني أخوتهم مثلك ، وأجري قولي في فيه ، يقول لهم ما آمرهم به ، .....) . والمراد ببني أخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل على ما هو معروف ، ويجب أن يكون من بعد سيدنا موسى عليه السلام فتعيّن سيدنا محمداً ﷺ .

ما جاء في السفر الأول : أنه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : (إن هاجر تلد ، ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخشوع) .

ثانياً : البشارة في الإنجيل .

ما جاء في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا : (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب لكم من الأب فيعطيكم فارقليطاً آخر ليثبت معكم إلى الأبد .....) . فقوله ليكون معكم إلى الأبد يفيد : بأنه بهذا النبيّ تختم النبوة فتكون شريعته عامّة لا يحتاج الناس بعدها إلى نبيّ .

وجاء في الباب الخامس عشر : (وأما الفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم ، ويمنحكم جميع الأشياء ، وهو يذكركم بما قلته لكم .... ثم قال : وإني أخبرتكم بهذا قبل أن يكون ، حتى إذا كان ذلك تؤمنوا به) . وقوله باسمي يعني النبوة .

وفي الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا : قول سيدنا عيسى عليه السلام : (لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ؛ لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء ذلك فهو يوبّخ العالم على خطيئة وعلى برٍّ وعلى حكم ؛ أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فلأني منطلق إلى الأب ، ولستم ترونني بعد ، ..... ، وإذا جاء روح الحق فهو يعلمكم جميع الحق ؛ لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي وهو يمجدني .....) .

ومعنى الفارقليط عندهم : (المزي والمعين والوكيل والشافع) . وهذه المعاني تصدق على النبيّ ﷺ . وأصل اللفظة يوناني (بيركلوتوس) والتي تعني (الذي له حمد كثير) وهي قريبة من معنى محمد أو أحمد .

وسيدنا عيسى عليه السلام كان يتكلم بالعبراني لا باليوناني وتلفظ عيسى عليه السلام باسم النبي ﷺ بعده مفقود أما اللفظ الموجود اليوناني (بيركلوتوس) فهو من ترجمة يوحنا من العبراني إلى اليوناني ، وحين ترجم من اليونانية إلى العربية صار (فارقليط) وسيدنا عيسى عليه السلام كان يبشر بالفارقليط من بعده . ويؤكد هذا :

١. أن اليهود والمسحيين المعاصرين للنبي ﷺ كانوا منتظرين لنبيّ سيأتي ، ويؤيد ذلك قول النجاشي حين وصله كتاب النبي ﷺ : (أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب) . فكتب في الجواب إليه : (أشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، ، واسلمت على يديه لله رب العالمين) . وهذا واضح أيضاً من كلام ورقة بن نوفل ، ومن قصّة الراهب بحيرا ، وقصّة إسلام الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه .
٢. القول في الإنجيل (يوبخ العالم) نصٌّ جلي على سيدنا محمد ﷺ ؛ لأنه وبّخ العالم وخاصّة اليهود على عدم إيمانهم بعيسى عليه السلام .
٣. ولم ينطق من عنده ، وإنما وحي في كلامه وأخباره .

٤. كما أنه يمجّد عيسى عليه السلام وهذا ثابت بالقرآن الكريم .

{ إنجيل برنابا }

برنابا من قديسي النصارى ورسول من رسلهم وركن من أركان الدعاية المسيحية باتفاقهم ، وقد وجد إنجيل باسمه ، يدلّ على أنه كان من حواريي المسيح عليه السلام وملازميه في السّرّاء والضراء ؛ ولكن الأناجيل الأخرى لا تعدّه من الحواريين ؛ بل من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين بعد السيد المسيح عليه السلام .

وإنجيل برنابا يبشّر بنبينا محمد ﷺ في مواضع كثيرةٍ ويذكر اسم النّبيّ محمد ﷺ بالاسم الصريح في فصول أضافية مؤكداً أن المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد ﷺ وأنه رسول الله ، وأن آدم عليه السلام لما خرج من الجنّة ، رأى سطوراً فوق بابها بأحرف من نور : لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وفي فصوله كلام كثير في التبشير بنبينا محمد ﷺ ؛ لأن التلاميذ طلبوا من المسيح عليه السلام أن يصرح لهم ، فصرّح بما يُعلن حقيقته ، ويبين بما له من شأن .

وهذا الإنجيل وإن ردّه جُلُّ النصارى بلا مبرر ، إلا أن هناك بيانات تشهد وترجح صحته . فضلاً عن أنه يقرر أموراً جوهرية تباين الأناجيل الأربعة تطابق ما ذكر في القرآن الكريم . وهي :

١. قوله : إن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله ، وذلك على مرأى ومسمع من ست مائة ألف جندي ، وسكان اليهودية من رجال ونساء . (أي نفى عقيدة التثليث) .
٢. إن الابن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله ، إنما هو اسماعيل لا إسحاق .
٣. إن ميسا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع وإنما محمد ، وقد ذكر النبي محمداً ﷺ بالاسم الصريح .
٤. إن يسوع لم يُصلب بل حُمل إلى السماء ، وإن الذي صُلِبَ هو يهوذا الذي شُبّه به .

{ رسالته ﷺ خاتمة الشرائع }

ختم النبوة

آخر الأنبياء هو سيدنا محمد ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين بدليل :

أ- قوله تعالى : ﮋ ﯻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﮊ الأحزاب: ٤٠ .

ب- قوله صلى الله عليه وآله : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال ﷺ : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

أمّا ما صحّ من الأحاديث التي تذكر أن المسيح ﵇ ينزل قبيل قيام الساعة ، فالثابت أنه لا ينزل بوحي جديد ، وإنما ينزل فيحكم بشريعة سيدنا محمد ﷺ فهو مقرّر ومؤكد لها ، ولذلك كانت شريعته عليه الصلاة والسلام خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها . وهو مصداق قوله تعالى : ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ژ آل عمران: ١٩ ، وقوله ﷻ : ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ژ آل عمران : ٨٥ ، وقوله سبحانه :
ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ المائدة: ٣ .

أمّا إذا ذُكِرَ في القرآن أو في السُّنة المطهرة حكم شرّعه الله لمن سبقنا من الأمم على ألسنة رسلهم فهل هو شرع لنا أم لا ؟

هذا هو موضوع (شرع من قبلنا) في أصول الفقه ، وخلاصته :

أ- إن الأحكام المشرّعة لمن قبلنا وكتبت علينا ، فلا خلاف أنها شرع لنا كقوله تعالى : ژ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ژ البقرة: ١٨٣ .

ب- إن الأحكام المشرّعة لمن قبلنا التي رفعت عنا بحكم ناسخ في شرعنا ، فلا خلاف أنها ليست شرعاً لنا ؛ مثل حكم شريعة موسى ﵇ : (إن العاصي لا يكفر عن ذنبه إلا أن يقتل نفسه) فهذا الحكم مرفوع عنا ؛ لأنه منسوخ بتشريع التوبة .

ج- أما الحكم الذي لم يرد في شرعنا ما ينسخه أو يقرره ، فقد اختلف فيه الفقهاء على قولين :

القول الأول : يكون شرعاً لنا ، وعلينا تطبيقه لعدم الدليل على نسخه ، وهو من الأحكام التي جاء بها الرسل .

القول الثاني : لا يكون شرعاً لنا ؛ لأن شريعتنا ناسخة للشرائع السماوية جميعاً إلا إذا ورد في شرعنا ما يقرره .

وسبب ختم شريعة الإسلام للرسالات السابقة هو ما يأتي :

أ- شريعة الرسول ﷺ بيّنة واضحة ، ينظر إليها المتزود الطالب للعلم في أي وقت وفي أي مكان ، فينهل منها ما يسد حاجته .

ب- لا حاجة إلى شريعة تضيف إلى الإسلام أو تنقص منه ؛ لأنه لا قصور فيه عن حل أية مشكلة تواجهه . وأوضح دليل عليه هو أنها أعطت حكمها في كل المشاكل الكثيرة التي لا حصر لها ، والتي حدثت للمسلمين في جوانب الحياة كافة ، من لدن عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا ؛ بل الحاجة قائمة إلى من ينشر شريعتنا الإسلامية ، ليزود العالم بالعلاج الناجع الذي يستأصل شأفة أمراض الأمم جميعا .

ج- نبوة سيدنا محمد ﷺ عامّة إلى جميع الخلق ، فلم تختصّ بها أمّة أو بلدة أو زمن .

عموم رسالته :

ورسالته ﷺ عامّة إلى جميع الخلق على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم . بدليل :

أ- قوله تعالى : ژ ک ک گ گ گ ژ الأنبياء: ١٠٧ ، وقوله سبحانه : ژ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ سبأ: ٢٨ .

ب- قتاله صلى الله عليه وآله لأهل الكتاب ، وفرض الجزية عليهم ، بينما كان الأنبياء السابقون مرسلين إلى أقوامهم خاصّة ، وهذا واضح في القرآن الكريم ؛ قال تعالى : ژ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ژ الأعراف: ٥٩ ، ژ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ژ الأعراف: ٦٥ ژ ۋ ۇ ۇ ۆ ژ الأعراف: ٧٣ ، ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ الأعراف: ٨٥ . وفي الحديث الصحيح : (أعطيت خمساً لم يعطهنَّ أحد من قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ....) .

وبناء على هذا :

فمن اتبع النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد اتبع الأنبياء جميعاً ، ومن أنكر نبوته فقد أنكر نبوة الأنبياء جميعاً ، وما ذلك إلا مكابرة وعناد وهدر لقيمة العقل ، لذلك يستحق صاحبه العقاب الشديد يوم القيامة .

{ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أرفع الأنبياء منزلة }

الأنبياء جميعاً يشتركون في وصف النبوة ، فهم على حدٍّ واحد فيها ؛ لأن النبوّة في نفسها لا تتفاضل ؛ ولكنهم يتفاضلون بخصائص فيما ورائها ؛ ويدل على ذلك قوله تعالى : ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ژ البقرة: ٢٥٣ .

وسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء وأرفعهم منزلة وأعلاهم مقاماً ، فتفضيله عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء يعود إلى زيادة الأحوال والكرامات والرتب ، ودليل تفضيله هو :

أ- قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) . أي : لا أقول ذلك فخراً بنفسي ؛ ولكن تحدثاً بنعمة الله .

ب- أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يفضل غيره بأمور ذكرها في الحديث الشريف : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت ليَ الغنائم ولم تُحلَّ لأحد قبلي ، وجعلت ليَ الأرض طيبة مسجداً وطهوراً فأيُّما رجل أدركته الصلاة صلّى حيث كان ، ونُصِرْتُ بالرعب بين يديَّ مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة) .

ج- إن أمته أفضل الأمم قال تعالى : ژ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤڦ ژ آل عمران: ١١٠ . وذلك تابع لفضل نبيها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

{ شفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) }

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب ، واصطلاحاً : طلب الخير للغير .

وهي مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر . فكأنّما الشافع ضمّ سؤاله إلى سؤال المشفوع له . وقد ذكر العلماء أنواعاً متعددة لشفاعة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ وهي:

١. الشفاعة العظمى الخاصّة بنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين سائر النبيين والمرسلين ؛ وهي التي يشفع فيها لأهل المحشر حتى يُقضى بينهم ويُراحوا من شدة الموقف وهوله ، بعد أن يتدافعها الأنبياء وأصحاب الشرائع – آدم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام . وهي المقام المحمود ، ووردت في ذلك جملة من الأحاديث بلغت حدّ التواتر .
٢. شفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) في إدخال قوم الجنّة بغير حساب .
٣. الشفاعة في بعض الكفّار لتخفيف العذاب عنهم .
٤. الشفاعة في رفع درجات أناس في الجنّة .

نكتفي بهذه الأنواع التي اتفق عليها المسلمون عن أنواع أخرى حصل الخلاف فيها .

{ أصول دعوة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) }

تتجلى دعوة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في جزأي الشهادة ؛ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) اللذان هما الركنان الأساسيان لها ، ويندرج تحته كلُّ الجزئيات والتعاليم الإسلامية .

الركن الأول :

الإيمان بوجود الله تعالى وبوحدانيته، وأنه يتصف بصفات الكمال التي تليق به سبحانه .

الركن الثاني :

الإيمان برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . ومعناه :

- وجوب التصديق بأنه نبيُّ الله تعالى وخاتم النبيين .
- وجوب التصديق بما أخبر به .
- وجوب طاعته في كل ما صدر من قول أو فعل أو تقرير من الأوامر والنواهي ، ووجوب اقتفاء أثره والتزام طريقته في سبل الحياة كلّها ؛ لأن طاعته طاعةٌ لله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ژ النساء: ٨٠ وقوله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ژ الأحزاب: ٣٦ .
- يدخل في هذا الركن الإيمان بالملائكة والجنّ وسائر المغيبات .
- الإيمان بسائر الأنبياء بلا تفريق ، وما يجب وما يستحيل في حقهم من صفات ، وبكتبهم التي أنزلت عليهم .
- الإيمان باليوم الأخر وهو الباعث على العمل الصالح وترك المنكرات .

{ واجبنا نحو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) }

بعد أن أنعم الله تعالى بأن آمنّا بالله وبنبيه الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) . كان عليه أن يعرّفنا واجبنا نحو جنابه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو :

١. محبته أكثر من النفس والولد والمال والناس أجمعين . لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده والناس أجمعين) . وهذه المحبّة تتجلى بالطاعة والاتباع لقوله تعالى : ژ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ژ آل عمران: ٣١ .

٢. تبجيله واحترامه (ص) حيّاً وميّتاً ، ففي حياته لا يجوز سبقه بالحديث ، قال تعالى : ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ژ الحجرات: ١ .
ولا يجوز رفع الصوت أمامه قال تعالى : ژ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ﯓ ۇ ژ الحجرات:٢ . ويبقى هذا الاحترام حتى بعد مماته ، فلا يجوز رفع الصوت عند قبره الشّريف ، أو في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يجب التأدّب عند سماع حديثه ، والرضا به وعدم الخروج عليه .
٣. الصلاة والسلام عليه أينما ذكر قال تعالى : ژ ج ج چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ژ الأحزاب: ٥٦ ، ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصلِّ عليَّ) .
٤. وجوب التأسي بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : قال تعالى : ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی □ ژ الأحزاب: ٢١.
٥. عدم إيذائه بأيِّ نوع من انواع الأذى . لقوله تعالى : ژ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ الأحزاب: ٥٧ .
٦. وجوب تعظيم وحبِّ آل بيته الكرام (عليهم السلام) لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أحبّوا الله لما يغدوكم من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي) .
واحترام أصحابه الكرام ﷺ لقوله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ژ الفتح: ٢٩ .

{ اليوم الآخر في الفكر الإسلامي }

معناه :

من الأمور المسلّم بها في الدين الإسلامي الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت ، يبعث الناس بعد موتهم ، ويحاسبون على ما قدّموا من أعمال ، فيُجازون عليها ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّة الخلد ، وأما الذين كفروا وعملوا السيئات فلهم النار يشقون فيها بالعذاب الشديد : ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ الزلزلة: ٦ – ٨ .

تسميته :

سُمّيَ باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا ، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا فإنه ليس منها ولكنه متصل بها . لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته) .

وسمي باليوم الآخر لقيام الناس فيه من قبورهم ، وقيامهم بين يدي خالقهم ، وقيام الحجة لهم وعليهم .

حكم الإيمان اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع . وقد فصّل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أخبار اليوم الآخر ، وما يتصل به من مشاهد القيامة ، وفصّل أوصاف أهله في الجنّة والنّار ، وبرزت فيه مشاهد حيّة وواضحة مكتملة السمات ، تخفق لها القلوب وتقشعر لها الأبدان .

انقطاع العمل بالموت

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) .

فالموت هو الحدُّ الفاصل بين الحياة الدنيا وبين الآخرة ، وعليه فإن منازل الآخرة تبدأ بمجرد مغادرة الروح البدن .

وسنتحدث عن هذه المنازل مسلسلة ابتداءً بالموت ، وما يتصل به ، وما يتبعه إلى قيام الساعة ، وما يتلوها من مشاهد ، حتى استقرار الإنسان في الجنة أو النار .

سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم

وردت في السنة النبوية المطهرة أحاديث تدل على أن الأعمال بالخواتيم ومنها : قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُخْتَمُ له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل

الجنة) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن العبد ليعمل عمل أهل النار وأنه من أهل الجنّة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم) .

وتكون سوء الخاتمة :

أ. لمن أصرَّ على الكبائر ، وأقدم على المحرمات ، فربما غلب عليه ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

ب. لمن كان مستقيماً ثم تغيّر عن حاله ، وخرج عن سنته .

فيجب على المؤمن أن لا يُعجب بإيمانه وعمله وصلاته وصومه وجميع قرباته ؛ لأن ذلك وإن كان من كسبه فإنه من توفيق ربه ، فمهما افتخر بذلك فإنه كالمفتخر بمتاع غيره .

ولذلك أوجب الله سبحانه وتعالى على عبادة التوبة لتحسن خاتمتهم ويكون مصيرهم الجنة ، فإن العبد لا يدري متى تقبض روحه ، إذ أن الموت يأتي على الصغير والكبير والصحيح والسقيم .

فلا بد أن يبادر الإنسان إلى طاعة ربه ما دام مكلفاً شرعاً ؛ لأن سِنَّ التّكليف يتعلق به الثواب والعقاب ، والطاعة سبيل الوصول إلى جنّة الفردوس .